مركز الدراسات الدولية – جامعة بغداد
قسم الدراسات الأمريكية
المحاضر : أ.م.د سفيان صائب المعاضيدي
عنوان المحاضرة :سايكولوجية الزعماء العرب و التأثير الأمريكي

عند الحديث عن علم النفس لا بد أن نعرّج على تعريفه و هو علم دراسة السلوك ، و إذا أخذنا السلوك بأبعاده المختلفة نرى أن كل حركة تصدر عن الكائن الحي تعد سلوكا ، و هو العلم الذي يهتم بفهم وتفسير السلوك و التنبؤ به ، و في علم النفس هناك تنوع بالاتجاهات و المدارس النفسية مثل علم النفس العام و الخاص و علم نفس الطفولة و المراهقة و علم النفس التجاري ... و علم النفس السياسي ... الخ من المدارس النفسية المختلفة ..

و إن ذهبنا إلى الجانب التاريخي ،إذا أخذنا هذه الرقعة الممتدة من الخليج إلى المحيط .. نرى أنها كانت مصدرا لصراع الكبار على مر التاريخ الإنساني و السياسي لها .. فمنذ عصر فجر السلالات كانت تتحكم القوتين الفارسية و الرومانية بهذه المنطقة .. مرورا بالقوة العثمانية و قوة إيران الملكية وصولا إلى القوى الكبرى
(بريطانيا ، فرنسا ، ايطاليا ، روسيا، و أميركا ... حتى وصل الحال بتحكم القوتين الروسية و الأمريكية .. وصولا إلى انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالعالم بشكل وحيد) .

و هذا كله مدعاة للبحث في كيفية تحكم الولايات المتحدة بالحكام .. و هذا ما أعلنه الراحل معمر القذافي في أحد القمم العربية .. عندما تجادل مع ملك السعودية فقال له ((كلنا جئنا بقطار أمريكي ..)) و هنا تعد فلتات اللسان لدى فرويد و هو رائد مدرسة التحليل النفسي .. أحدى أهم النقاط الرئيسية التي سننطلق منها للبحث في هذا الموضوع ...

لنأخذ بنظر الاعتبار مجيء الكثير من زعماء المنطقة العربية في القرن العشرين من مناشيء فقيرة و كانت ثوراتهم دائما تعد ثورة من ثورات الجياع .. أو ما أدعوه هم في حينها .. سنرى أن الكثير منهم جاء من مناشيء مختلفة و حياة نفسية متناقضة في مجتمع يعيش التناقضات الفكرية و هو المجتمع العربي .. بين البداوة و الحضارة .. و هذا ماكان كتب عنه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة ، و ما كان يؤكد عليه الدكتور علي الوردي في كافة كتاباته ،و ما عاشته الشعوب العربية من اوضاع في القرن العشرين .. و ما تلاها من ثورات سميت أسماء مختلفة حسب المنطقة التي قامت بها و نوع الثورة و من قام بها .

و على المرء كي يفهم سلوك الحكام العرب الذين واجهوا أو الذين يواجهون شعوبهم بشتى الأساليب سابقا و لاحقا .. أن يشرع في فحص سريري إكلينيكي نفسي لاضطرابات الشخصية لديهم و دراسة الأمراض النفسية التي يعانون منها بدءا من النرجسية أو حب الذات وصولا إلى البارانويا .. أو ما يسمى (جنون العظمة) الذي يصلوا إليه جميعا شاء من شاء منهم أو أبى إلا من رحم ربي .

و للحديث في هذا الموضوع بدءا علينا أن نفهم حقيقة يغيبها الحكام عن الشعوب .. هي أنهم أناس حالهم حال الشعوب يمرضون و يعيشون حياة اعتيادية لا فرق بينهم و بين الشعب سوى في الكرسي الرئاسي أو الحاكم .. و هنا ما لا يريدوا أن يفهموه هم .

أن هذا الموضوع ليس بجديد على الدراسات النفسية في العالم إذ منذ دراسات عالم النفس فرويد في التحليل النفسي و تقسيم الشخصية إلى أنماط و تنظيمات .. مرورا بدراسات علماء النفس الآخرين أدلر ، يونغ ، سوليفان ، ماسلو و هرم الحاجات ... الخ وصولا الى دراسات جاستن فرانك لجورج بوش الابن الذي درس اضطرابات الشخصية لديه منذ الطفولة وصولا للرئاسة .. هناك الكثير من الكتاب و المفكرين و علماء النفس ممن كتبوا عن الحكام العرب لكنهم لم يصرحوا بالأسماء خوفا من القتل و التبعات التي تؤدي الى التصريح بالاسم .. فقد درس محمد حسنين هيكل على سبيل المثال كثيرا من الحالات و ذكرها بكتبه الكثيرة عن القمم العربية و وجود علماء

نفس و شخصية في تلك القمم و تسليط كاميرات خاصة على أولئك الحكام لدراسة حتى الخطوط التي يرسموها في دفاترهم الشخصية ..

كما أكدت الدراسات النفسية أهمية متابعة الحالة النفسية للحاكم و شخصيته من الطفولة وصولا الى المرحلة التي استلم بها الحكم .. موضوعنا سيتركز على الحكام العرب ، و دراسة سلوكياتهم و كيفية التعرف على اضطراباتهم الشخصية .. و العينة هي زين العابدين بن علي ، حسني مبارك ، علي عبد الله صالح ، و سنعرج على البعض الآخر بنقاط قليلة .

الكثير من الرؤساء العرب إن لم نقل كلهم يشعر بالنرجسية ، و هذه الحالة من الاضطراب .. تجعل الفرد يشعر بأنه الأجمل و الأحلى ، و بالتالي سيكون الأقوى و المنزه عن الخطأ و الزلل ، الأمر الذي سيجعله الزعيم الأوحد و القائد الأوحد ، يتبع هذه الاضطرابات ما سيعانيه لاحقا من البارانويا و هي الإحساس بالعظمة و هنا مكمن الخطر فالبارانويا تجعله يحس بالعظمة مع التحسس من الناس و اعتبارهم مناهضين له و معادين و بالتالي الشعور بالاضطهاد ، فهذا القائد مع عظمته و جبروته و قوته يشعر إن الناس كلها تعاديه و هو الوحيد الذي يسير بالحق و على الحق و الآخرين تبع له .. بل إنهم سبب من أسباب شقائه و شقاء بلده ..

و ترتبط هذه الصفة مع الهستيريا ، التي درسها بعمق المحلل النفسي فريتز ويمان و التي تتحدث عن إصابة بعض القادة العرب بوهم محبة الشعب لهم و أنهم الشباب الدائم للشعب و وهم تحقيق مصالح الشعب كلها و إن أتى أي شخص غيرهم لن يستطيع تحقيق هذه الأهداف العظيمة التي حققها هذا القائد ..

إن السلوك الإنساني و حسب علم النفس الفسيولوجي عبارة عن ايعازات عصبية تحدث في ثواني معدودة ، مثال على ذلك أنك تضع يدك على إبرة فيصل الإيعاز الى خلايا الدماغ بأن فلانا وضع يده على الإبرة ، و تأتي الأيعازات العصبية من الدماغ بأن ترفع يدك من الإبرة .. كل ذلك يتم في أجزاء الثانية بسبب الشبكة العصبية المكونة من شعيرات غاية في الدقة تؤدي الى رد

الفعل المقابل لفعل مؤذي كي تحمي الجسم البشري .. فكيف بايعازات قرارات الحكام التي تتخذ مباشرة ؟؟؟؟ هنا لا تعليق .. فبعض القرارات التي أدت الى تخريب مدن بأكملها خير دليل على ذلك .

تصل الاضطرابات النفسية في شخصية البعض الى الوصول به الى الإحساس بالشباب المستمر الذي يؤدي به الى القيام بتجميل نفسه بطرق مقززة منها عمليات التجميل و النفخ التي يقوم بها بعض الرؤساء كي يبدوا وجهه أنضر من حقيقته المرة . و هذا ما قام به حسني مبارك و زين العابدين بن علي ... و غيرهم من رؤساء العرب و ملوك الخليج و قادته.

هناك اضطرابات أخرى كثيرة مما ذكرها بعض العلماء و الاختصاصيين النفسيين و لم يعرضوا عن شخصياتها سوى أنهم قادة في بلدانهم ، و كنا نتمنى لو أنهم صرحوا بأسمائهم كي تنكشف حقيقتهم للشعوب إن لم يكن الآن .. ففي منظور تأريخي تبقى أساسا لمعرفتهم ، فمثلا يذكر الدكتور علي كمال رحمه الله في كتبه (النفس انفعالاتها ، أمراضها ، وعلاجها بجزأيه ، و في كتاب الفصام العقلي ، و كتاب المرض العقلي) و هذا الرجل من أطباء العوائل الحاكمة في العراق و الوطن العربي إن صح التعبير .. يذكر حالات الرهاب على سبيل المثال و هو الخوف المرضي ، فيقول أن الكثير من الحكام يخافون النظر الى الماء فعند دخولهم الحمام تغلق أعينهم تماما و يستخدمون الماء للغسل .. بل و الأنكى من ذلك حتى قنينة الماء يغطيها و قدح الماء و كل ما يمت الى الماء بصلة لا يراه بعينه ، و هناك منهم من لديه رهاب من الحيوانات و الحشرات و هناك من يصل الى مرحلة الخوف المرضي من فراش النوم الخاص به فلا تراه ينام بفراشه أكثر من ساعتين لينتقل الى غرفة أخرى و فراش آخر .. الخ رغم ما يدعيه كذبا أنه يخاف على روحه إلا أنه يعاني من هذا الاضطراب و هو الخوف المرضي من أشيائه المنزلية الخاصة .

اضطراب آخر يعاني منه الحكام العرب هو اضطراب التسلط ، و هذا آفة كبرى يعانيها كلهم قاطبة .. لا داعي للتعليق عليها .

القلق سمة من سمات الشخصية الاعتيادية ، إلا أنه إذا زاد عن حده يتحول الى مرض نفسي ، و هذه السمة تتزايد عند الحكام بشكل كبير فهم قلقون من ضياع الحكم ، و قلقون من ضياع السلطة ، كما أنهم قلقون من ضياع ثرواتهم الشخصية ...

أما عن آليات الدفاع النفسي التي يستخدمها الحكام فعلينا التمعن فيها جيدا و ملاحظة هذه الآليات بشكل دقيق.. فهذه الآليات .. النكوص أو ما يدعى العودة الى الخلف زمنيا و عمريا ، الكذب ، الإسقاط و هو ما يتمثل بإسقاط أخطائه على الشعب أو على الآخرين ، التبرير للفشل الذي يمر به ، ... و هناك آليات أخرى كثيرة غيرها .

أخذ الباحث الشخصيات الآتية : حسني مبارك ، زين العابدين بن علي ، علي عبد الله صالح . لأنهم يمثلون مشاريع مختلفة لقادة عرب أحدهم ممن تربى في كنف حضارة أمتد عمرها الى آلاف السنين ، و الآخر ممن عاش في بلد ثقافته عربية فقط في الظاهر فرنسية قلبا و قالبا بعيدة عن تعاليم دينها ، و الثالث تربى في ثقافة بدوية لا تعترف بالتمدن الحضارة .. و الثلاثة قد تم الانقلاب عليهم بما سمي الربيع العربي .

كان حسني مبارك ممن يعتبر نفسه متفضلا على الشعب المصري لقيادته له و توفير الطعام و المساعدات الأمريكية و هو عمل على أن يكون شابا بعمر ٨١ سنة بتغيير خلق الله و عمل عددا من العمليات ليبدوا الأجمل من كل شعبه (النرجسية)، كما أنه يرى ان هناك مؤامرة عليه (الشعور بالاضطهاد) ، السيطرة على مفاصل الدولة من قبله و أفراد بيته (التسلط) ، و كان لديه أنواع الرهاب من أشياء كثيرة .. كما انه يعاني البارانويا إذ رأى أن الأجانب هم من قام بإثارة الرأي العام ضده ؟؟؟ و هذه تحتاج الى علامات استفهام و العودة الى رأي الراحل القذافي في القطار الأميركي الذي جاء بهم جميعا .

زين العابدين بن علي : رجل ناكر لجميل رئيسه (الحبيب بو رقيبة) و هذه بحد ذاتها اضطراب في الشخصية ، بعد ذلك أجرى عمليات تجميل كثيرة لوجهه (نرجسية) ، لديه حب التسلط ، الإرهاب

الديني ، سرقة المال العام و الرصيد في الخارج ، أنواع الرهاب ، القلق المرضي ، يرى أن مجاميع المتظاهرين عبارة عن الرعاع من الشعب ، تقريب العائلة من كل الجهات و تجاهل الشعب .

علي عبد الله صالح : البداوة بكل معانيها ، عدم الاهتمام بالشعب ، إدمان الشعب على القات بهدف تفتيته و تشتت تفكيره ، القلق من فقدان السلطة أدى الى تقريب إخوته و أبناء عمومته ، استخدم أنواع آليات الدفاع النفسي لتهدئة الشعب ، يرى أن إسرائيل هي من تقود التظاهرات ضده (البارانويا) ، يشعر بأن لا قائد غيره لليمن (التسلط) و ما زال يتعامل مع الشعب على انه القائد و يستقبلهم في الأعياد و المناسبات كرئيس دولة .

الدور الأمريكي في التأثير على القادة العرب و تغييرهم :

إن أميركا و خاصة بعد أن استحوذت على كونها القطب الأوحد بدأت تتصرف كونها الراعي الأوحد لقادة المنطقة العربية .. فهي تجمل صورة من تشاء وقت تشاء .. و تظهر الآخر بصورة مقيتة وقت تشاء ، و حسب مصالحها العامة و الخاصة .. فكل دول الخليج على سبيل المثال لا الحصر دون استثناء هي دكتاتوريات كبيرة بكل ما يشمله المعنى لكنها لا تظهر سيئاتها ، و حكامها يعانون من عقد النقص و الأمراض المشخصة نفسيا و اجتماعيا و التي تتقزز النفس من بعضها و لكنها لا تظهرها على الملأ .. و البعض من الحكام العرب الآخرين يتم تصويرهم في مؤسسات الحكم الأميركي و وسائل الأعلام على أنهم قادة كبار .. إلا أنهم بعد مدة قليلة يتم الانقلاب عليهم و تصويرهم قتلة مأجورين .. مع تصوير إبادة الشعوب و الفقر الذي تعيشه تلكم الشعوب جرّاء الحاكم الظالم ، كما أنها تسهم أسهاما فاعلا في إدارة السياسات العامة للبلدان العربية من خلال قربها و بعدها عن الحاكم العربي ، و علاقته بمصدر القرار الأمريكي .

إن لأميركا بعيدا عن نظرية المؤامرة التي يستند إليها بعض العاملين في السياسة العربية و قادة الدول العربية دور كبير في تحسين أو الإساءة الى أي رئيس بالعالم و منهم الرؤساء العرب ، و ذلك من خلال الآتي :

١. إيقاف المساعدات الأمريكية للدول سواء ماديا أو معنويا .

٢. كشف العلاقات المشبوهة للحاكم .

٣. كشف الحسابات المصرفية للحاكم .

٤ . كشف عمليات القتل و الترويع التي يجريها على مواطني بلده و الدول المجاورة.

٥ . القيام بتشويه صورة الحاكم العائلية و الشخصية .

٦ . كشف الأمراض النفسية و الملفات التي لديهم عنه .

٧ . إعداد خبراء مختصين بالدول لأعداد الملفات الخاصة بكشف حكامها .فضلا عن تغلغلها ببعض الدول و الحصول على الملفات مباشرة .

٨ . هناك دراسات كثيرة أثارتها نيويورك تايمز و الواشنطن بوست في تسعينيات القرن العشرين ، و لم يحصل عليها أي نفي أو إثبات من قبل الحكومة المركزية الأميركية ، تؤكد وجود مختصين في علم النفس و لغة الإشارة مع أي رئيس أميركي يستقبل أي حاكم في البيت الأبيض ، أو يزور أي دولة في العالم الأول يدرس السلوك العام للحاكم ويفسره و يتنبأ به و الثاني يفسر لغة الإشارة إذا كان الحاكم قليل الحركة و لا يحاول أن يتحدث كثيرا خوفا من تفسير حركاته ، حتى أن أحدى الدراسات أشارت الى أن حاكما من الحكام كان يتصرف معهم كالثعلب !! لا يتكلم إلا نادرا و لا يتحرك إلا قليلا مما اضطرهم إلى التركيز على عينيه بكاميراتهم و محاولة متابعة حركة الرمش في الدقيقة و تفسيرها ، و دراسة حركات العين و البؤبؤ و اتساعه و ضيقه .